الجهد التفسيري الأثري للعلامة محمد حسين الطباطبائي في كتابه (تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)

الأستاذ الدكتور

حسن كاظم أسد الخفاجي

رئيس قسم التربية الإسلامية ـ كلية التربية الأساسية

hasank.alkhafaji@uokufa.edu.iq

الباحث

هشام كاظم زغير الميالي

كلية التربية الأساسية ـ جامعة الكوفة

Kazmhsham721@gmail.com

The archaeological exegetical effort of the scholar Muhammad Husayn al-Tabataba'i in his book Tafsir

(The Statement in Concordance between Hadith and the Qur'an)

Prof. Dr.

Hassan Kazem Assad Al - Khafaji

Head of the Department of Islamic Education - College of Basic Education

Researcher

Hisham Kazem Zaghir Al-Mayali

College of Basic Education - University of Kufa

الملخص:-

يعتمد التّفسير النّقليّ أو بالمأثور، على ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل أوّلاً، ثم على ما نقل عن المعصوم: النبي i أو الأئمة من عترته الطّيبين الطاهرين d ، وبعده على المأثور من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ممّا جاء بياناً وتوضيحاً لجوانب أُبهمت من القرآن. وعليه فسيعرض البحث لتناول الجّهد الأثري للعلامة محمد حسين للطباطبائي﵀ في تفسيره (البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن).

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، السيد محمد حسين الطباطبائي، الجهد التفسيري، تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة.

Abstract:-

The transporter or aphorism interpretation firstly, depends on what came of declaration and details in the Holy Quran. Secondary It depends on what reported from the infallibles (the prophet and bure Imams of prophet's family) and finely depends on what narrated from the prophet's companions and their good followers to state and clarify the ambiguous parts of holy Quran consequently the research will deal with the archaeological effort of Mohammed H. Al Tbataee in his explanation book (Detailed the compatibility between the tradition and Quran).

Keywords: The Noble Qur'an, Sayyid Muhammad Husayn Tabataba'i, Interpretational Effort, Interpretation of the Qur'an by the Qur'an, Interpretation of the Qur'an by the Sunnah.

المقدمة:

عرف العلامة محمد حسين الطباطبائي﵀ بغزارة مؤلفاته حيث ترك العديد من المصنفات والرسائل العلمية والتعليقات والمقالات في مختلف المجالات من فروع المعرفة وشؤون الدين والعقيدة والتفسير والأخلاق والفلسفة وغيرها، باللغتين العربية والفارسية، مضافاً إلى ترجمة بعض مؤلفاته إلى لغات أخرى، كما ودأب على الكتابة بمستويات مختلفة تناسب أفهام الخاصة من العلماء وأهل الإختصاص، فضلاً عن الكتابة بما يناسب عامة المجتمع، دون أن تكون حكراً على أهل الإختصاص منهم، ومضافاً إلى كونه فيلسوفاً كبيراً أثر في الفكر الفلسفي الإسلامي، فقد ترك أثره أيضاً في تفسير القرآن الكريم، من خلال تفسيره(الميزان)، الذي ترك أثراً كبيراً بين الأوساط العلمية في منهجيته، وطريقة معالجته للنصوص القرآنية وشموليته لمختلف الأبحاث العلمية والمتعلقة بتفسير الآيات القرآنية، إلا أن للعلامة الطباطبائي تفسيراً أخر سبق تفسيره (الميزان)، وهو تفسير(البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)، الذي كتبه في موضع رأسه مدينته تبريز، قبل أن يهاجر إلى مدينة قم المقدسة ليقوم هناك بتأليف تفسير الميزان.

والذي عالج فيه الرُّوايات التّفسيرية بطريقة معمقة وأنتهى إلى نظريات قرآنية من خلال عملية المزج بين تفسير القرآن بالقرآن وبين الرُّوايات الشريفة.

وقد تضمن هذا البحث التعريف بمنهج التفسير الأثري في هذا التفسير القيم، حيث تعرض البحث لتفسير القرآن بالقرآن، وبيان طرق ذلك عند الطباطبائي، ثم تفسير القرآن بالسنة، وتعريف السُّنة، وموقف الطباطبائي﵀ من حجية سنة النبي i وحجية السُّنة الصادرة من أهل بيته d ، وحجية أقوال الصَّحابة والتابعين، ثم بيان الجهد الرُّوائي للعلامة الطباطبائي﵀ في تفسيره (البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)، حيث ظفر الباحث بالمطالب الآتية:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

ثانياً: تفسير القرآن بالسّنة

وإليك تفصيل هذين المبحثين:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

عُرِّف تفسير القرآن بالقرآن بأنه: (مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الأخر ليستدل على هذه المعرفة بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من قرآنه الكريم)[١]، وعرفه أخر بأنه:(الاستعانة عند تفسير إحدى الآيات بالآيات الأُخرى، والرُّجوع إلى الآيات الأُخرى المرتبطة بتلك الآية لرفع إبهامها وتوضيح معناها)[٢]، ويعود تأريخ هذا النَّوع من التّفسير إلى زمن النبي i والأئمة من آل البيت d والصَّحابة والتَّابعين و(له تأريخ طويل تظهر آثاره في التّفاسير المأثورة عن الرّسول الأكرم والأئمة المعصومين والصحابة والتابعين، ويمكن ملاحظة هذا التفسير في الكتب التفسيرية القديمة، مع اختلافها في كثرة الاستفادة منه وقلّتها)[٣]، وغير خفي على الباحثين موقف الطباطبائي﵀ من تفسير القرآن بالقرآن، إذ كان من المتّبعين لهذا المنهج في التفسير، وهو وإن لم يتكلم عنه في كتابه (البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن)؛ إلا أنه كان يبتدئ بتفسير الآيات القرآنية مستعيناً بأخواتها من الآيات الأخرى مقدماً لها على طرحه للرُّوايات التّفسيرية؛ فإنه إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على تقدمه على التفسير الرُّوائي، ومن عبائره في الدّلالة على أهمية هذا المنهج في التفسير، ما ذكره في بعض مصنفاته(أن نفسر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾[٤]، وحاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء ولا يكون تبيانا لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ...﴾[٥] وقال تعالى: ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[٦] وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقانا ونورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجون ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج ! وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾[٧] وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه ! وأي سبيل أهدى إليه من القرآن!)[٨]، وبغية بيان جهد الطباطبائي﵀ في هذا المجال فقد ظفر الباحث بالمطالب الآتية:

١- رفع الإبهام في معنى آية من خلال ظهوره في آية أُخرى

٢- تخصيص عموم آية بآية أُخرى

٣- تقييد إطلاق آية من خلال حمل المطلق على المقيد

٤- حل المنافاة الظاهرة بين الآيات

٥- شرح مفردة وردت في آية من خلال معناها في آيات أُخرى

٦- إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

٧- تعيين مصداق آية بواسطة آيات أخرى

وإليك تفصيل هذه المطالب:

١ـ رفع الإبهام في معنى آية من خلال ظهوره في آية أخرى.

استعان الطباطبائي ﵀ في العديد من الموارد[٩] لبيان بعض الآيات التي تنطوي على معاني مبهمة غير واضحة من خلال وضوح معناها في آيات آخر، ففي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١٠]، تعرض الطباطبائي ﵀، لرفع الإبهام في جواز السّجود لغير الله تعالى؛ من خلال إيجاد نظير له في آية أخرى، وان لم يكن بنحو مطلق. قال ﵀: (واعلم: أنّه يستفاد من قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ جواز السجود لغير الله في الجملة، إذا كان التعظيم والخضوع له نحو خضوع لله سبحانه؛ إذ الممنوع عقلا ونقلا إعطاء الربوبيّة لغير الله تعالى، وما كلّ سجود يقصد به ذلك، وهو ظاهر، ونظيرها قوله في قصّة يوسف a : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾[١١])[١٢]، ويرى البحث أن الطباطبائي ﵀ إستطاع الإستدلال بالآيات القرآنية مضافاً، لدلالة النَّقل، ودليل العقل، على أن الممنوع من السُّجود لغير الله ﷻ هو سجود الرُّبوبية، دون ما يرجع إلى نحو الخضوع والإمتثال لله ﷻ، كما في مورد سجود الملائكة لآدم a ، ومورد سجود أبوي يوسف وأخوته له a .

٢ـ تخصيص عموم آية بآية أخرى.

ذهب الطباطبائي ﵀ في بعض الموارد[١٣] بتخصيص بعض الآيات التي يظهر منها عموم مداليلها، من خلال إيجاد المخصص لها في آيات أُخر. ففي قوله تعالى ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[١٤]، بيّن الطباطبائي ﵀ أن ابليس (عليه اللعنة) استنظر إلى يوم القيامة، مما يمكن أن تعم غوايته وتستمر حتى في عالم البرزخ، لو تركت هذه الآية من دون

تخصيص بآية أُخرى دلّت على اختصاص استنظاره بالدنيا فقط! وإن ذلك كان منة من الله على عباده، قال﵀: (استنظر إلى يوم القيامة، فأجيب إلى أصل الفطرة ولم يجب إلى يوم القيامة بدليل قوله تعالى في سورتي الحجر و ص: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[١٥]، ويدلّ ذلك على أنّه كان في قوته أن يستمرّ على إغوائه في البرزخ كالدنيا، وإنّ عدم استجابته إلى ذلك كان منةً منه تعالى لعباده، فوسوسته ممتدة إلى آخر الدنيا)[١٦]، ويرى البحث أن الطباطبائي﵀ إستطاع أن يفرق بين إنظار ابليس (عليه اللعنة) ليوم الوقت المعلوم، وأن هذا اليوم ليس هو يوم البعث بل هو اليوم الذي يخرج به الإنسان من الدُّنيا، وإن كان ذلك لا يمنع من مرافقة الشيطان لبعض البشر بعد موتهم، كما دلَّت عليه بعض الآيات الكريمة، ولذا قال﵀:(وإن كان ربّما صحب الإنسان بعد موته أيضا كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[١٧] ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[١٨])[١٩]، فإنَّ هذه الصُّحبة بعد الموت لا تمنع من كون ميقات اليوم المعلوم دنيوياً، وغير خاص بما بعد الدنيا.

٣ـ تقييد إطلاق آية من خلال حمل المطلق على المقيد .

جاءت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون ذكر قيد لها في حين ذُكرت آيات أخرى مقيدة ببعض القيود، فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر والبحث في الآيات المقيّدة لها، عملية غير صحيحة ولا تكشف عن المراد الجدّي للمتكلم[٢٠]، ولذا لم يُهمل الطباطبائي﵀ عند تفسيره الآيات المطلقة النَّظر إلى الآيات التي تصلح أن تكون مقيدة لها، ففي قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢١]، توصَّل الطباطبائي﵀ من خلال الجمع بين الآيات إلى أن حقيقة الإمامة مرتبطة ومقيدة بالهداية، تقييد تفسير، إذ الإمامة في الآية غير الرسالة؛ وإلا لكان كل رسول إمام! وهي غير الإمامة بمعنى تبليغ الأحكام الشرعية وغيرها، وإلا لكان كل مؤمن فقيه إمام! بل الإمامة مضافاً لما لها من تميز عن الرسالة والنبوة كما هو مدلول الآية، مرتبطة أيضاً بوظيفة الهداية، المدلول عليها من خلال الجمع بين الآيات المقيدة لإطلاقها.

ولذا قال﵀:(لو كانت حقيقة الإمامة هي مجرّد بيان معارف المبدأ والمعاد ومسائل الحلال والحرام، وبيان ما يضرّ الناس وما ينفعهم في الدنيا والآخرة، كان كلّ رسول إماما، بل كلّ مؤمن متفقّه إماما، كما قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢٢] وسيجيء أنّ إبراهيم a كان نبيّا ورسولا وخليلا ومن أولي العزم صاحب كتاب وشريعة قبل أن يكون إماما. فمن الواضح حينئذ إنّ حقيقة الإمامة غير حقيقة النبوّة والرسالة وغير الهداية العامّة ببيان المعارف والمسائل، لكنّا نجده سبحانه كلّما تعرّض لمعنى الإمامة، تعرّض للهداية تعرّض التفسير، قال سبحانه:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي لإبراهيم a ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[٢٣] وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢٤] فالإمام يهدي بأمر ملكوتيّ يصاحبه، فالإمامة نحو ولاية للناس في أعمالهم وهدايته أيصاله إيّاهم إلى المطلوب، دون مجرّد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ والرسول، وكلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه)[٢٥]، ويرى البحث أن الطباطبائي﵀ استطاع من خلال تفسير القرآن بالقرآن أن يثبت لمقام الإمامة وظيفة الهداية الدّالة على مقام الولاية، المطلوبة من الله ﷻ.

٤ـ حل المنافاة الظاهرة بين الآيات.

توصّل الطباطبائي﵀ من خلال تفسير القرآن بالقرآن؛ لحلّ ما يبدو للوهلة الأولى تنافياً بين بعض الآيات القرآنية[٢٦]، ففي قوله تعالى ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢٧]، ذهب الطباطبائي﵀ إلى أن الآية تدل على إمهال للناس وعدم التعجيل بإهلاكهم على أفعالهم الشريرة، قال﵀: (وقوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ﴾ أي لا نعجّل لهم بالشرّ، بل نمهلهم حتّى يتيهوا منتهى تيههم، ويأتوا بآخر ما عندهم من الفساد)[٢٨]، ومن ثم أورد﵀ إشكالاً في التنافي بين مدلول هذه الآية في الإمهال والآخذ بالعذاب، وبين كون اللهﷻ سريع الحساب كما هو مدلول وظاهر من آيات أُخر؟ وحلّ﵀ هذا الإشكال، فقال﵀: (فإن قلت: هذا ينافي ما يدلّ من الآيات على أنّ الله سريع الحساب؟ قلت: لا منافاة فإنّ الشرّ الذي يحسبه الناس شرّا وهو هلاك الدنيا أو نار الآخرة، آخر ما ينتهي بهم إليه سلوكهم هذا الطريق المهلك من الشرّ وكلّ منازل الطريق شرّ وهلاك،

فإنّما يتقلبون من هلاك إلى هلاك ، وينقلبون من بوار إلى بوار قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٢٩] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣٠])[٣١]، وتوصل البحث إلى أن الطباطبائي رحمه الله يرى أن البعد عن الله عز وجل يسبب العذاب، وأن لهذا العذاب مراتب قد لا يدركها النَّاس، فتؤدي بهم إلى العذاب الأُخروي، فيصدق على تلك المراتب الاستدراج والإملاء، ولا تخرج عن كونها عذاباً مستعجلاً عن عذاب مؤجل إلى يوم القيامة.

٥ـ شرح مفردة وردت في آية من خلال معناها في آيات أخرى.

قد يلجأ المُفسر في بعض الموارد إلى بيان معنى كلمة - أو بعضٍ من خصائصها- وردت في بعض الآيات القرآنية من خلال الرجوع إلى آيات أُخرى من القرآن الكريم، كما قد يوظّف هذا الرجوع لرفض معنىً آخر ذكره غيره من المفسّرين لإحدى الكلمات[٣٢]

بين الطباطبائي رحمه الله معنى مفردة - الدعاء - في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٣]، من خلال تعرضه لمعناها في آيات أُخر، حيث دلّ على أن الدُّعاء مساوق لمطلق العبادة والخضوع لله عز وجل وليس مجرّد النّداء بحرف النّداء، قال رحمه الله: (الدُّعاء بها: هو التوجه إليه سبحانه بما يختصّ به منها ، وليس مجرّد النداء بحرف النداء فهو مساوق لمطلق العبادة والخضوع كما يلوح من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣٤]، فذكر الدعاء أولا، ثمّ وضع موضعه العبادة إيماءاً إلى اتّحادهما، وكذا قوله سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، والدين: العبادة)[٣٥]، ومن ثمّ أضاف الطباطبائي رحمه الله مورداً آخر في إطلاق الدعاء على ما تصدق عليه العبادة فقال:(ومن موارد إطلاق الدعاء بمعنى العبادة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[٣٦])[٣٧]، فتوصل البحث إلى أن الطباطبائي رحمه الله يذهب إلى أن الدعاء وإنْ كان توجهاً ونداءً لله سبحانه بما يختص به من الأسماء والصفات، إلا أنه يستبطن العبادة والخضوع والإخلاص، المتعلق بالدعوة إلى الله والدين عموماً.

٦ـ إرجاع المتشابهات إلى المحكمات:

ففي قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٣٨]، استعان الطباطبائي﵀ بتفسير القرآن بالقرآن لبيان معنى الاستواء على العرش في الآية الدَّال على مقام التدبير الإلهي، من خلال تبيينه في آيات أُخر. قال﵀: (يشير إلى مقام في الوجود، يجتمع عنده التدبير العامّ الإجمالي لنظام الوجود، ففيه يعلم حقيقة التدبير الذي يدبّر عليه العالم، ويدور عليه النظام بجزئياته وكلّياته، وهو بمنزلة الروح لجميع التدابير العامّة المتوسطة بينه وبين الجزئيات التي هي بمنزلة الروح بالنسبة إلى جزئيات الحوادث، ولذلك عقّب قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[٣٩] وقال سبحانه في سورة الرعد: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾[٤٠]، وقال في سورة يونس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٤١]، فعقّب الإستواء بتدبير الأمر، وقال في سورة الم السجدة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[٤٢]، فأنبأ عن رجوع كلّ ولاية أو شفاعة إليه فإنّ ولاية غيره نحو ولاية له سبحانه، وشفاعة غيره شفاعته، لأنّه هو المعطي لذلك كلّه بغناه والباذل له برحمته، فالجميع منه وله، وقال في سورة الحديد: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤٣]، فعقب الإستواء بالعلم بالحوادث، وهو مقام إجتماع الحوادث، فهو مقام العلم بها إذ ليس العلم بالشيء إلّا حضوره عند العالم، والحوادث حاضرة بأجمعها في العرش)[٤٤]، ويرى البحث أن الطباطبائي﵀ تمكّن من خلال الجمع بين الآيات من معرفة معنى الاستواء للعرش المتضمن لمعنى تدبير الأمور، والكاشف عن رجوع كل ما في الوجود إلى علم اللهﷻ وتقديره ، الذي هو من علم الغيب الداخل في المتشابه.

٧ـ تعيين مصداق آية بواسطة آيات أخرى:

قد يأتي في بعض الآيات بيان بعض المفاهيم والمطالب بصورةٍ كليةٍ خالياً من ذكر وتعيين المصاديق، في حين تذكر هذه المصاديق في غيرها من الآيات، وعند جمع الآيات ومراجعتها ومقابلة بعضها ببعض تتضح لنا مصاديق الآيات الأُولى[٤٥]، ففي قوله

تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٤٦]، بيّن الطباطبائي ﷺ مصداق لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ وذلك من خلال تعريفهم في آية أُخرى، قال ﷺ: (ثمّ إنّه عرّف هؤلاء الذين أنعم عليهم في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٤٧])[٤٨]، وخلص البحث إلى أن الطباطبائي ﷺ في جميع الموارد السَّابقة كان رائداً في تبيين وتفسير الآيات القرآنية من خلال إرجاعها إلى آيات أُخر، مبينة لإبهامها، ومفصلة لإجمالها، ومخصصة لعمومها، ومقيدة لإطلاقها، إلى غير ذلك من وجوه تفسير القرآن بالقرآن.

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة

عرفت السنَّة الشَّريفة بأنها: (ما أمر به المصطفى i ونهى عنه وندب إليه قولا أو فعلا أو تقريرا مما لم ينطق به الكتاب)[٤٩]، و(ما صدر عن النبي i من قول أو فعل أو تقرير)[٥٠]، وتطلق السُّنة عند الإمامية على:(قول المعصوم أو فعله أو تقريره)[٥١]، فتشمل ما صدر عن أئمة أهل البيت d مضافاً إلى النبي i ؛ وسبب ذلك: (إن فقهاء الإمامية بالخصوص لّما ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على العباد واجب الاتباع فقد توسعوا في اصطلاح " السنة " إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره والسر في ذلك : أن الأئمة من آل البيت d ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي وذلك من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي، أو من طريق التلقي من المعصوم قبله)[٥٢]

ويعتقد الطباطبائي ﷺ بحجية سنة النبي i وحجية أحاديث أهل البيت d في التفسير، وقد أشار إلى ذلك في بعض مصنفاته منها: في تفسيره لقوله تعالى ﴿...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥٣]، قال في إثبات حجية سنة النبي i ، والأئمة d ، في تبيين القرآن وتوضيحه: (وفي الآية دلالة على حجية قول النبي i في بيان الآيات القرآنية، وأما ما ذكره بعضهم[٥٤] أن ذلك في غير النَّص والظاهر من المتشابهات أو فيما يرجع إلى

أسرار كلام الله وما فيه من التأويل فمما لا ينبغي ان يصغى إليه. هذا في نفس بيانه i ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره)[٥٥]، وفي كتابه(البيان) أشار إلى حجية سنة أهل البيت d ، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٥٦]، حيث قال﵀:(فأثبت مسّه ونيله للمطهّرين، وهو في مرتبة أرفع من أن ينال بالعقل والفكر، وقد عدّ سبحانه كلّ ظلم وشرك من الرجس، فهؤلاء المطهّرون رجال أزال الله عن قلوبهم رجس الشّرك والرّيب، وعن أفعالهم رجس الظلم والمعصية وطهّرهم تطهيرا، كما أنزل في أهل بيت نبيّه قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥٧] وهؤلاء رجال آتاهم الله من علم الأشياء بحقائقها وحقائق ما يكلّم به الناس ويخاطبهم نيلا وراء نيل العقل، ونحوا غير نحوه، فنظروا إلى الأشياء على ما هي عليه من المملوكيّة لله والفقر إلى الله والقيام بالله بكشف الغطاء عن قلوبهم والحجاب عن بصائرهم، فحاولوا العبوديّة على حقيقة معناها ولم يلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله سبحانه)[٥٨]، فقد أثبت الطباطبائي﵀ مرجعية أهل البيت d التّفسيرية في النيل والكشف عن معاني القرآن العالية التي تكون في مرتبة أرفع من تنال بالعقل والفكر العادي؛ وإنّما يُلامس هذه الحقائق المطهرون من كل شائبة ومن آتاهم الله علم الأشياء بحقائقها.

وقال في مصنف آخر: (تعتقد الشيعة بنص من القرآن الكريم حجية اقوال النبي i في التفسير، وترى ان الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجية في اقوالهم الا ما ثبت انه حديث نبوي. وقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين ان اقوال العترة الطاهرة من اهل بيته: هي تالية لأقوال الرسول، فهي حجة ايضا. ومن هنا اخذت الشيعة في التفسير بما اثر عن النبي واهل بيته)[٥٩]، وفي نصه المتقدم إشارة إلى عدم حجية أقوال الصحابة والتّابعين الذاتية؛ وإنما تكون الحجية لأقوالهم في طول حجية سنة النبي i والأئمة d ، ودورهم دور الكشف عن هذه السُّنة، ومن عبائره في ردِّ القول بحجية وعموم عدالة الصحابة، ما ذكر هنا في تفسيره(البيان)، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٦٠]، بعد بيانه لحال وصفات جملة من المنافقين الذين صدق عليهم عنوان(الصحابي)، قال﵀:

(ومن هنا صحّ لنا أن نبحث عن حال الصحابة ونوجّه إلى كلّ واحد منهم القدح أو المدح على حسب ما يقضي به المأثور المضبوط من حاله وسيرته، ولا نحسن الظنّ بكلّ من تسمّى باسم الصحابي مع ما يضبطه التأريخ والرواية من مختلف أحوالهم، ولا نصغي بعموم ما رووه لأنفسهم عن النبيّ i أنّه قال: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم[٦١]، الحديث، على أنّهم أنفسهم لم يعملوا بعموم أمثال هذه الأحاديث، ولم يضعوا كلّ صحابيّ موضع القبول والرضا بشهادة التاريخ، فقد امتلأت الكتب وشحنت التصانيف بالوقائع الواقعة بينهم من طعن ولعن وسبّ وشتم وضرب ونفي وقتل وغير ذلك، ولم يقم دليل على حصر الاجتهاد فيهم دون غيرهم من الامّة من التابعين، ولا بقيام العذر فيهم دون من سواهم والله الهادي)[٦٢]، وقد تضمّن هذا المبحث الإشارة إلى الدُّور الذي تلعبه الرُّوايات التفسيرية في فهم النص القرآني، فقد تنوعت الوظائف والأدوار التّفسيرية التي شغلتها الرُّوايات في تفسير الآيات القرآنية ا، والتي وجدت في تفسير الطباطبائي(البيان)، وقد إقتبس البحث من تلك الأدوار و الوظائف الآتي:

١- بيان معنى آية كريمة بدلالة رواية شريفة

٢- بيان مصاديق للآيات القرآنية بدلالة الروايات الشريفة

٣- بيان معنى كلمة في آية بدلالة رواية شريفة

٤- بيان نسخ آية كريمة بدلالة رواية شريفة

٥- بيان سبب نزول آية كريمة بدلالة رواية شريفة

٦- بيان تفصيل إجمال آية بدلالة الرّوايات الشريفة

٧- بيان تأويل آية بدلالة رواية شريفة

وإليك تفصيل هذه المطالب:

١ـ بيان معنى آية كريمة بدلالة رواية شريفة

اعتمد الطباطبائي﵀ بنحو ملحوظ، على الروايات الشّريفة في بيان معاني الآيات القرآنية، وكشف مداليلها، وفي العديد من الموارد[٦٣]، ومن أمثلة ذلك: أورد الطباطبائي﵀

في معنى قوله - بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ - من قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٦٤]، رواية بيّنت معنى إبتداع السماوات والأرض، قال﵀:(وقد روى في الكافي[٦٥] والبصائر[٦٦] عن سدير الصيرفي، قال: ((سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر a عن قول الله: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال أبو جعفر a : إنّ اللهﷻ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله: ﴿وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾[٦٧]))[٦٨].

٢ـ بيان مصاديق للآيات القرآنية بدلالة الروايات الشريفة .

في بعض الأحيان يبيّن الحديث الشّريف أحد مصاديق الآية، وإن كانت الآية لا تنحصر في ذلك المصداق المعيّن، ويكثر ذلك في الرّوايات الفقهية[٦٩]، حيث لم تخل الرّوايات الشّريفة من ذكر وتشخيص مصاديق لبعض الآيات القرآنية، والّتي عبر عنها الطباطبائي﵀ بروايات(الجري والأنطباق) ، إذ كان يعبر عن هذا التشخيص بأنه من قبيل تعداد المصاديق والجري مصرحاً به تارة، وتارة أُخرى لا يصرح بذكر الجري مع الروايات التي تذكر مصاديق للآيات الكريمة، وتارة يصرح بكونه من باب عدّ أفضل المصاديق، وإليك تفصيل ذلك:

أ- من أمثلة تصريحه بالجري: في قوله تعالى ﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾[٧٠]، أورد الطباطبائي﵀ رواية تذكر مصاديق لمن أتبعوا رضوان الله ففازوا بالدّرجات عنده: (وفي تفسير العيّاشي[٧١] عن الصادق a : الذين اتّبعوا رضوان الله هم الأئمّة، وهم والله درجات عند الله للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم الدرجات العلى، والذين باؤوا بسخط من الله هم الذين جحدوا حقّ عليّ وحقّ الأئمّة منّا أهل البيت، فباؤوا لذلك بسخط من الله)[٧٢]، ثمّ قال الطباطبائي﵀ معقباً:(أقول : وهو من قبيل الجري)[٧٣]، وهنا نرى أنه﵀ قد صرح بكون موارد هذه المصاديق من قبيل الجري.

ب- من أمثلة عدم تصريحه بالجري مع الرّوايات التي تذكر مصاديق للآيات: في قوله تعالى ﴿وَأَذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ. . .﴾[٧٤]، أورد الطباطبائي﵀ رواية

تذكر أن الآذان هو علي بن أبي طالب a : (وفي تفسيري العيّاشي[٧٥] والقمّي[٧٦] عن السجّاد a : الآذان أمير المؤمنين a)[٧٧]، ثم قال الطباطبائي﵀ معقباً:(أقول: وقد ورد هذا المعنى في عدّة من الروايات[٧٨]، وفي بعضها عن عليّ a : كنت أنا الأذان في الناس[٧٩]، الحديث، والمعنى واضح، فإنّه a كان المؤذن)[٨٠]، فالرّواية ذكرت مصداقاً واضحاً وجلياً للآية، والطباطبائي﵀ علق على الرّواية بتأكيد معناها دون التصريح بكونها من الجري والتطبيق.

ج- ومن أمثلة ذكره لأفضل المصاديق: في قوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٨١]، أورد الطباطبائي﵀ رواية تحدد مصاديق لفضل الله ورحمته، قال﵀: (في المجمع[٨٢] والجوامع[٨٣] عن النبيّ i : فضل الله: رسول الله i ورحمته : عليّ بن أبي طالب a)[٨٤]، ثم قال الطباطبائي﵀ معقباً: (أقول: وهذا المعنى مروي في عدّة كتب: كتفسيري القمّي[٨٥] والعيّاشي[٨٦] والكافي[٨٧] ومجالس الصدوق[٨٨] وأمالي الشيخ[٨٩]، وهو من باب عدّ أفضل المصاديق)[٩٠]، ويرى البحث أن الطباطبائي﵀ وإن كان يذهب إلى شمولية قاعدة(الجري والأنطباق) لأغلب المصاديق المذكورة في روايات أسباب النزول والفقه وغيرها، إلا أنه يكتفي بالإشارة إلى القاعدة في بعض الموارد دون جميع الموارد.

٣ـ بيان معنى كلمة في آية بدلالة رواية شريفة.

كما في معنى - الكفر- في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٩١]، حيث أورد الطباطبائي﵀ جملة من الرّوايات في بيان معنى هذه المفردة. قال﵀: (وفي تفسير العيّاشي[٩٢] عن الصادق a :وإن كان يقدر أن يمشي بعضا ويركب بعضا فليفعل (وَمَنْ كَفَرَ) قال : ترك)[٩٣]، ثم قال الطباطبائي﵀ معقباً: (أقول: ورواه الشيخ في التهذيب[٩٤]، وقد عرفت أنّ الكفر كالإيمان ذو مراتب. وفي الكافي[٩٥] عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى، في حديث، قال: قلت: فمن لم يحجّ منّا فقد كفر؟ فقال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا، فقد كفر)[٩٦]، ثم خلص الطباطبائي﵀ إلى قوله: (أقول: وعلى أيّ حال فإطلاق الكفر على العصيان يفيد الإهتمام التامّ بهذه الفريضة

العظيمة)[٩٧]، فأوضح الطباطبائي﵀ معنى الكفر الناتج عن ترك فريضة الحج من خلال الرّوايات الشّريفة.

٤ـ بيان نسخ آية كريمة بدلالة رواية شريفة:

لم يهمل الطباطبائي﵀ الإشارة إلى ما ورد من روايات في الدّلالة على نسخ بعض الآيات القرآنية، سواء أكان من النسخ المصطلح عليه والوارد في جملة من الموارد[٩٨]، أو من النسخ غير المصطلح عليه والوارد في لسان بعض الرّوايات[٩٩]

أ- من أمثلة النَّسخ المصطلح عليه: قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[١٠٠]، أورد الطباطبائي﵀ الرّواية الآتية:(في تفسير العيّاشي[١٠١] عن أحدهما - عليهما السلام - قال: هي منسوخة، نسختها آية الفرائض التي هي المواريث)[١٠٢]، ثمّ قال الطباطبائي﵀ معقباً:(أقول: تذييل الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يدلّ على كون الحكم ذا مرتبتين وجوبا وجوازا، فالنَّسخ للوجوب لا ينافي بقاء الجواز، ولو لم يثبت النسخ - لمكان كون الرواية من الآحاد - فتذييل الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ربّما دلّ على أنّ المراد بالكتابة في صدرها غير الفرض والإيجاب، وهو ظاهر)[١٠٣]، وتوصل البحث إلى أن الطباطبائي﵀ قد أفاد بناءً على ثبوت النَّسخ في الآية، ثبوته لحصة خاصة من الحكم، وهو رفع الوجوب الظاهر من ذيل الآية.

ب- من أمثلة النسخ غير المصطلح عليه والوارد كثيراً في لسان روايات أهل البيت d ، قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٠٤]، أورد الطباطبائي﵀ عند تفسيره لهذه الآية رواية تدلّ على أن هذه الآية ناسخة للآية التي قبلها: (ففي الكافي[١٠٥] عن محمّد بن سوقة، قال: سألت أبا جعفر a عن قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾[١٠٦] قال : نسختها التي بعدها، قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفا من الموصي في ولده فيما أوصى به إليه ـ فيما[١٠٧] لا يرضى الله به من

خلاف الحقّ ، فلا إثم عليه أي على الموصى إليه أن يبدّله إلى الحقّ، وإلى ما يرضى الله به من سبيل الحقّ[١٠٨])[١٠٩] ثمّ قال الطباطبائي﵀ معقباً على هذا النسخ:(أقول: هو من تفسير الآية بالآية ، الدّال على أنّ النسخ في كلامهم d ربّما اطلق على غير ما اصطلح عليه بين الاصوليّين)[١١٠]، فصدق التفسير على هذه الموارد دال على أن معنى النّسخ أعم من النّسخ التشريعي في كلمات الفقهاء والأصوليين.

٥ـ بيان سبب نزول آية كريمة بدلالة رواية شريفة .

اعتمد الطباطبائي﵀ وبنحو رئيسي على المصدر الرّوائي في بيان أسباب نزول الآيات القرآنية، ومن أمثلة روايات أسباب النّزول: قوله تعالى﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[١١١]، فقد ذكر الطباطبائي﵀في سبب نزولها: (وقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾أي لو أعطى لهم السمع ولم يجد فيهم ما يقبله كمن يعطى قوّة السمع ولا أذن له كان ضائعا باطلا ولتولّوا وهم معرضون. وفي المجمع[١١٢] عن الباقر a : نزلت في بني عبد الدار، لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط)[١١٣]، فقد جاءت الرِّواية على ذكر سبب نزول الآية الكريمة.

٦ـ بيان تفصيل إجمال آية بدلالة الرّوايات الشريفة .

قد تأتي بعض آيات القرآن الكريم مجملةً، ليُحيل في تفصيلها وبيانها إلى آيات أُخرى أو بيان النبي i ، لما تقتضيه المصلحة الرَّاجحة والحكمة البالغة ولم يذكر ذلك على وجه التفصيل[١١٤]، ومن الأمثلة التي ذكرها الطباطبائي﵀ في تفصيل إجمال آية قرآنية، في قوله تعالى﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[١١٥]، حيث أورد رواية في تفصيل وبيان نوع هذه الصلوات فقال﵀: (في التهذيب[١١٦] عن الباقر a طرفاه: المغرب والغداة ﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾: هي صلاة العشاء الآخرة)[١١٧]، وعلَّق الطباطبائي﵀ على الرِّواية بما يدل على ورود رواية أُخرى بنفس المعنى في مصدر آخر:(أقول: وروى العياشي[١١٨] في تفسيره عن الصادق a مثله)[١١٩]، حيث دلَّت الروايتين على تفصيل وقت أداء الصلوات الخمس.

٧- بيان تأويل آية بدلالة رواية شريفة.

تتحدّث هذ الرّوايات التّفسيرية عن معانٍ أو مصاديق معينة للآيات الكريمة، ولولاها لما أمكن استلهام تلك المعاني أو مطابقة الآيات على تلك مصاديقها، أو أنّها مصاديق لم تكن قد وقعت بعد؛ وهذا ما يفسر غموضها[١٢٠]، وقد تبيّن في الأبحاث السّابقة من هذه الرّسالة معنى التأويل، ومن أمثلة الرّوايات المؤولة لبعض الآيات القرآنية: قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[١٢١]، أورد الطباطبائي﵀ رواية ذكر أنها تؤوّل الصّبر بالصوم وتؤوّل الصلاة والصوم بالرسول i والامام علي a ، قال﵀:(وفي تفسير العيّاشي عن أبي الحسن a في الآية، قال: «الصبر: الصوم، إذا نزلت بالرجل الشدّة أو النازلة فليصم؛ إنّ الله يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الصبر: الصيام[١٢٢] ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ والخاشع: الذليل في صلاته، المقبل عليها؛ يعني رسول الله وأمير المؤمنين[١٢٣])[١٢٤]، ثم قال الطباطبائي﵀معقباً: (أقول: قد استفاد a من الآية استحباب الصوم والصلاة عند نزول الملمّات والشدائد، وكذا التوسّل بالنبيّ والوليّ عندها، وهو تأويل الصوم والصلاة برسول الله وأمير المؤمنين K)[١٢٥]، ومن المعلوم ما للصوم من أهمية في تعويد النّفس وتدريبها على الصبر عند الملمات والشدائد؛ مما يجعله مناسباً لأن يؤول بالصبر، وكذا أن يؤول الإستشفاع بالنبي i والإمام a بالصوم والصلاة؛ فإنهما ممّا جعل طريقاً ووسيلة إلى الله تعالى في الفوز بالدرجات والرغبات ودفع الملمات والشّدائد.

الخاتمة:

١- إستخدم الطباطبائي﵀ - لأجل الوصول إلى نظرية موحدة من خلال الجمع بين التفسير القرآني للقرآن والتفسير الرُّوائي- منهج التفسير الأثري مقدماً تفسير القرآن بالقرآن حيث كان يفسر الآيات القرآنية من خلال إرجاعها إلى آيات أُخر، مبينة لإبهامها، ومفصلة لإجمالها، ومخصصة لعمومها، ومقيدة لإطلاقها، إلى غير ذلك من وجوه تفسير القرآن بالقرآن. مقدماً له على التفسير بالرُّوايات الشَّريفة، دون أن يفرد للرُّوايات الشَّريفة بحوثاً روائية مستقلَّةً كما صنع في تفسيره الميزان.

٢- يعتقد الطباطبائي﵀ بحجية سنة النبي i وحجية أحاديث أهل البيت d في

التفسير، أما حجية أقوال الصحابة فقد أشار إلى عدم حجية أقوال الصحابة والتَّابعين الذاتية؛ وإنما تكون الحجية لأقوالهم في طول حجية سنة النبي i والأئمة d ، ودورهم دور الكشف عن هذه السُّنة، باعتبارهم ناقلين لا مجتهدين.

٣- يعتبر الطباطبائي﵀ الرُّوايات الشَّريفة على أنَّها مؤيدة لما توصَّل إليه في تفسير القرآن بالقرآن في أغلب الأحيان.

٤- سلك الطباطبائي﵀ عدة طرق في تفسير القرآن بالقرآن؛ لأجل الوصول لتفسير النَّص القرآني من خلال جملة من العلوم المبثوثة في مباحث علوم القرآن وعلم أصول الفقه، كإرجاع المتشابهات إلى المحكمات من الآيات، وكحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد والنَّاسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم. كما فعل هذا الدُّور في حمل الرُّوايات التفسيرية للكشف عن تفسير الآيات القرآنية، فمضافاً للرُّوايات التي بينت نسخ بعض الآيات استعان بالرُّوايات في معرفة تفصيل مجمل الآيات، ومعرفة أسباب النزول وغير ذلك من الوظائف التفسيرية للرُّوايات الشَّريفة.

٥- يولي الطباطبائي﵀ إهتماماً ملحوظاً بروايات أسباب النزول في تفسيره جعله يكثر من مواردها، لدرجة إنَّه في بعض الآيات لم يورد روايات إلا في أسباب نزولها، وإهتمامه هذا فاق ذكره لرُّوايات أسباب النُّزول في تفسيره الميزان.

هوامش البحث

(١) المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى جاسم محمد أبو طبرة، ص٦٥

(٢) مدارس التّفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي ٣٤٦/٢

(٣) م. ن ٣٤٦/٢ - ٣٤٧

(٤) سورة النَّحل: ٨٩

(٥) سورة البقرة: ١٨٥

(٦) سورة النِّساء: ١٧٤

(٧) سورة العنكبوت: ٦٩

(٨) الميزان في تفسير الميزان، الطباطبائي ١١/١
(٩) ظ: البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١/ ١٣٩؛ ٢٠٠/٢؛ ١١٢/٤؛ ٣٢/٦-٣٣
(١٠) سورة البقرة: ٣٤
(١١) سورة يوسف: ١٠٠
(١٢) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١/ ١٠٩
(١٣) ظ: م. ن ٨٧/١؛ ٢/ ٢٨٦؛ ٨٨/٣
(١٤) سورة الأعراف: ١٤- ١٥
(١٥) سورة الحجر: ٣٧- ٣٨
(١٦) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١٩٤/٤- ١٩٥
(١٧) سورة الزخرف: ٣٦- ٣٩
(١٨) سورة ق: ٢٧
(١٩) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٤/ ١٩٥
(٢٠) ظ: دروس في المناهج والاتجاهات التّفسيرية للقرآن، علي الرضائي، ص٦٢
(٢١) سورة البقرة: ١٢٤
(٢٢) سورة التوبة: ١٢٢
(٢٣) سورة الأنبياء: ٧٢- ٧٣
(٢٤) سورة السجدة: ٢٤
(٢٥) ظ: البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ١٨٨/١-١٨٩
(٢٦) ظ: م. ن ١١٩/١؛ ٢٢٣/٤؛ ١٥٤/٥
(٢٧) سورة يونس: ١١
(٢٨) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ٢١٩/٥
(٢٩) سورة الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣
(٣٠) سورة الأنعام: ٢٦
(٣١) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٢٢٠/٥
(٣٢) ظ: مدارس التفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي ٨٦/٣
(٣٣) سورة الأعراف: ١٨٠
(٣٤) سورة غافر: ٦٠
(٣٥) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٣٨٢/٤
(٣٦) سورة الأحقاف: ٥- ٦
(٣٧) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٣٨٢/٤

(٣٨) سورة الأعراف: ٥٤
(٣٩) سورة الأعراف: ٥٤
(٤٠) سورة الرّعد: ٢
(٤١) سورة يونس: ٣
(٤٢) سورة السّجدة: ٤
(٤٣) سورة الحديد: ٤
(٤٤) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٢٦١/٤- ٢٦٢
(٤٥) ظ: دروس في المناهج والاتجاهات التّفسيرية للقرآن، علي الرضائي، ص ٦٤
(٤٦) سورة الفاتحة: ٧
(٤٧) سورة النّساء: ٦٩
(٤٨) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ١/ ٥٢
(٤٩) فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، المناوي ٥٢٧/٢
(٥٠) الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم، ص ١٢٢
(٥١) أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر ٦٤/٣
(٥٢) م. ن ٦٤/٣ - ٦٥
(٥٣) سورة النّحل: ٤٤
(٥٤) قائل ذلك هو الآلوسي، ظ: روح المعاني ١٥٠/١٤
(٥٥) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ٢٦١/١٢
(٥٦) سورة الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩
(٥٧) سورة الأحزاب: ٣٣
(٥٨) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١/ ٥٨ - ٥٩
(٥٩) القرآن في الإسلام، الطباطبائي ص٥٩- ٦٠
(٦٠) سورة التّوبة: ٤٢
(٦١) ظ: التفسير الكبير، الطبراني ٥٥/٢؛ إرشاد القلوب، الديلمي ٣٣٥/٢
(٦٢) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١٣٥/٥ - ١٣٦
(٦٣) ظ: م. ن ١/ ١٤٢ ، ٢٤٩ ؛ ٢ /٩١ ، ٣٣ ؛ ٣ /١٢٩ ، ١٥٨ ، ٣١١ ؛ ٤ / ٢٥١ ، ٣١٣ ؛ ٥ /٦٣
(٦٤) سورة البقرة: ١١٧
(٦٥) الكافي، الكليني ١/ ٢٥٦، الحديث: ٢
(٦٦) بصائر الدّرجات، محمد بن الحسن الصّفار، ص ١٣٣، الحديث: ١
(٦٧) سورة هود: ٧

(٦٨) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ١/ ١٨١
(٦٩) ظ: دروس في المناهج والاتجاهات التّفسيرية للقرآن، علي الرضائي، ص ٨٧
(٧٠) سورة آل عمران: ١٦٣
(٧١) تفسير العياشي، العياشي ١ / ٢٠٥، الحديث: ١٤٩
(٧٢) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٣٠٧/٢
(٧٣) م. ن، ٢/ ٣٠٨
(٧٤) سورة التّوبة: ٣
(٧٥) تفسير العيّاشي، العياشي ٢ / ٧٣ ، الحديث: ٤
(٧٦) تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي ١ / ٢٨١
(٧٧) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٩١/٥
(٧٨) ظ: شواهد التّنزيل، الحاكم الحساكي، ١/ ٣٠٤، الحديث: ٣٠٧؛ البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ٢/ ٧٣٨
(٧٩) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ٢/ ٥٤٥
(٨٠) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٩١/٥
(٨١) سورة يونس: ٥٨
(٨٢) مجمع البيان، الطبرسي ٢٠١/٥، والرّواية فيه عن أبي جعفر الباقر a
(٨٣) جوامع الجامع، الطبرسي ١٣٤/٢، والرّواية فيه عن أبي جعفر الباقر a
(٨٤) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٥/ ٢٥١
(٨٥) تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي ١/ ٣٤٢
(٨٦) تفسير العيّاشي، العياشي ٢/ ١٢٤، الحديث: ٢٩
(٨٧) الكافي، الكليني ١/ ٤٢٣، الحديث: ٥٥
(٨٨) الأمالي، الصدوق ص٥٨٣ ، المجلس الرابع والسبعون ، الحديث: ١٦
(٨٩) الأمالي، الطوسي ص٢٥٤، المجلس التاسع ، الحديث: ٤٥٧
(٩٠) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٢٥٢/٥
(٩١) سورة آل عمران: ٩٧
(٩٢) تفسير العيّاشي، العياشي ١٩٢/١ ، الحديث: ١١٢
(٩٣) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ٢/ ٢٥٦
(٩٤) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ١٨/٥ ، الحديث: ٤
(٩٥) الكافي، الكليني ٤ / ٢٦٥ - ٢٦٦، الحديث: ٥
(٩٦) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٢/ ٢٥٦

(٩٧) م. ن ٢/ ٢٥٦

(٩٨) ظ: م. ن ١/٣٠٧؛ ٢/ ٢٢، ٨٤ - ٨٥ ؛ ٣ /٣٣، ٣٧ ، ٥٢، ٢٢٩؛ ٤ / ١٣٠ ؛ ٥ / ٦٦

(٩٩) ظ: م. ن ١/ ١٧٢، ١٧٣

(١٠٠) سورة البقرة: ١٨٠

(١٠١) تفسير العياشي، العياشي ١/ ٧٧ ، الحديث: ١٦٧

(١٠٢) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١/ ٣٠٧

(١٠٣) م. ن، ١/ ٣٠٧

(١٠٤) سورة البقرة: ١٨٢

(١٠٥) الكافي، الكليني ٧/ ٢١، الحديث: ٢

(١٠٦) سورة البقرة: ١٨١

(١٠٧) في المصدر: ((ممّا))

(١٠٨) في المصدر: ((الخير))

(١٠٩) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي، ١/ ٣٠٩- ٣١٠

(١١٠) ظ: م. ن ١/٣١٠

(١١١) سورة الأنفال: ٢٣

(١١٢) مجمع البيان، الطبرسي ٤/ ٨١٨

(١١٣) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٥/ ٤٨

(١١٤) ظ: المقداد السيوري وجهوده التفسيرية في كنز العرفان، د. عدي الحجار، ص١٤١

(١١٥) سورة هود: ١١٤

(١١٦) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ٢/٢٤١، الحديث: ٩٥٤

(١١٧) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ٥/١٢٧ تتمة الجزء الخامس

(١١٨) تفسير العيّاشي، العياشي ٢/ ١٦١، الحديث: ٧٣

(١١٩) البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي،١٢٧/٥ تتمة الجزء الخامس

(١٢٠) ظ: بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي، ص٢٥١

(١٢١) سورة البقرة: ٤٥

(١٢٢) تفسير العيّاشي، العياشي ١ /٤٣، الحديث: ٣٩، الحديث: ٤١

(١٢٣) ذيل الرواية: والخاشع: الذليل في صلاته، المقبل عليها؛ يعني رسول الله وأمير المؤمنين)) لم يرد في تفسير العياشي، بل ورد في تفسير فرات الكوفي، ص ٦٠

(١٢٤)البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، الطباطبائي ١/١٣٦

(١٢٥) ظ: م. ن١/١٣٦

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

١. إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الدَّيلمي(توفي في القرن الثَّامن)، منشورات الرَّضي، قم، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢. الأصول العامة للفقه المُقارن، السَّيد محمد تقي الحكيم(ت١٤٢٣هـ)، مؤسسة آل البيت d للطباعة والنَّشر، ط٢، ١٩٧٩م

٣. الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطُّوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤ه

٤. الأمالي، الشيخ الصَّدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

٥. بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، محمود رجبي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

٦. البرهان في تفسير القرآن، العلامة المحدِّث السيد هاشم الحسيني البحراني(ت١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدِّراسات مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٥هـ.

٧. بصائر الدَّرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصَّفار(ت٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق: حسن كوجه، الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٨. تفسير العيَّاشي، محمد بن مسعود المعروف بالعياشي(ت٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٠هـ.

٩. تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي (ت٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه، طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم ، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٠. التفسير الكبير، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطَّبراني(ت٣٦٠هـ)، ضبطه على أصله وخرج أحاديثه وعلق عليه: هشام بن عبد الكريم البدراني، دار الكتاب العربي، اربد - الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.

١١. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد الطُّوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران، ط٣، ١٣٩٠هـ.

١٢. جوامع الجامع، أبي علي الفضل بن الحسن الطَّبرسي(ت٥٨٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النَّشر الإسلامي التَّابعة لجماعة المدرسين بقم - إيران، ط١، ١٤١٥هـ.

١٣. دروس في المناهج والاتِّجاهات التَّفسيرية للقرآن، محمد علي الرِّضائي، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنَّشر، قم، ط٢، ١٤٣١هـ.

١٤. شواهد التنزيل لقواعد التَّفصيل في الآيات النَّازلة في أهل البيت d ، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (ت ق٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة النشر وزارة الثقافة والإرشاد الديني طهران، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٥. فيض القدير في شرح الجامع الصَّغير، زين الدِّين محمد المناوي(ت١٠٣١هـ)، المكتبة التِّجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٦. القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، دار الزَّهراء J ، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٧. الكافي، لثقة الإسلام الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ أو ت٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه، علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

١٨. مجمع البيان لعلوم القرآن، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٩. مدارس التَّفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ١٠١٠م.

٢٠. المقداد السيوري وجهوده التَّفسيرية في كنز العرفان، د. عدي جواد الحجار، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢١. المنهج الأثري في تفسير القرآن، هدى جاسم محمد أبو طبرة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة النَّشر الإسلامي التَّابعة لجماعة المدرسين بقم - إيران.